

ارتباطهما بسر الزواج المقدس حيث تتمزج هذه الصفات المتنوعة في نفس واحدة وروح واحدة وهنا متهى الكمال الذي يمكن أن يصل اليه الرجل أو المرأة
هنري بادير

الرجل والمرأة

(بقلم حضرة حنين افندي بادير)

من العبث ان يتولى الانسان بنفسه بحثاً يدل دلالة واضحة على مقدار ثقته وخيالاته الكاذب . واني أعد نفسي قبل كل كاتب تناول هذا الموضوع محباً للنفس ولوعاً للتغريب بها فخوراً بما ليس لي فيه فضل
أليس تناول البحث في هذا الموضوع دليلاً على ان الانسان ما زال حافظاً لمبدأ الاستبداد القديم متمسكاً بأهدابه بما ملا به داخل مملكته العائلية . فاما وقد وجهه غيري فاني آتي بكلماتي هذه دفماً لرأي لا اسميه سوى فرية على المرأة
على انه من الصعب ان يقرر الانسان افضلية الرجل على المرأة وبالعكس لانا اذا نظرنا بعين الحقيقة نرى ان لا افضلية هناك بينهما كما ان لكل منهما وهو داخل دائرة عمله التي وضعه داخلها المولى ميزة على الآخر — وما اشبه نزاعنا اليوم بنزاع قام بين صانعي القبعات في امريكا . فانه في عصر الرئيس «لنكولن» صُنعت قبعتان من أدق واجمل ما تصل اليه يد الانسان . فلما احضرتا اليه ورأى جمادىهما اقر بحسن صنعهما ولكن لكي لا يعطي للواحدة ميزة على الاخرى قال لصاحبيهما « ان قبعاتكم تفوق كل منهما الاخرى » . هكذا حالنا . فالرجل في دائرة عمله يفوق المرأة . والمرأة في عملها ايضاً تفوق الرجل

ولكي لا تقوم اختلافات في نفس المتزوجين الذين يدفعون اليها طبعاً بعامل الغرور وحس الظهور آتي هنا على جميع الاختلافات وانما ارجو القراء ان يعتبروا معي اولاً هذه الحقيقة البديهية — ان ليس لاحدهما وجه تفضيل على الآخر وانهما

جزء من هيكل واحد يتمان حلقة دائرة واحدة . توجد مواقف يظهر فيها الرجل أضعف من المرأة ومواقع أخرى تكون فيها المرأة أضعف من الرجل ولكن لا بد لنا من التقرير هنا قبل الخوض في عباب هذا البحث الواسع ان كفتي الميزان متعادلتان تماماً

اما وقد تنحصر مواضع النزاع في نقطتين — القوى العقلية والقوى البدنية فلذا آتي على شرح كل منهما واستميج القارىء عذراً ان يستمر معي الى النهاية فالموضوع لا يخلو من فائدة علمية وبحث، لذيذ

المخ . ان مركز العقل هو المخ ولذا أرى من الضروري جداً ان نأتي على الحقائق الطبية فيما يتعلق بالقوى العقلية حتى يكون جدالنا منطقياً ومحصوراً داخل قط محدودة

قلت ان المخ هو الذي يولد قوة العقل فيرسلها الى العضو المقصود فيعمل هذا على اخراجها الى دائرة العمل فلا يد اذاً من ان نذكر شيئاً عن تركيب المخ الفسيولوجي ومن ثم الى كيفية انتقال الفكر وبعد ذلك نحكم ان كان هناك اي فرق ان المخ هو أحد الاركان الهامة التي يقام عليها الهيكل الانساني وهناك مستودع السيل الفكري الذي يسري في البدن . وعقل الطفل أرق بكثير وألين وتظهر اجزائه في جمال بساطة تركيبها ومن هنا تنشأ قابلية عقل الطفل لكل الأصلاحات التي تدخل عليه بسهولة اكبر من عقل الراشد . ويشبه المخ في تركيبه ببطارية كهربائية وما تحتوي عليه من الاحماض والمعادن والاسلاك والاعوية . فهناك النور والصوت والحركة والشم والذوق والحرارة . فاجتماع هذه الجواهر والجهازات تنشأ عنها قوة الكهرباء . وخلايات المخ تابعة للنظام الفسيولوجي الا انها تختلف نوعاً في الشكل حيث لها فروع بواسطة تتصل بخلايات بعضها من جهة وترتبط بكل اجزاء الجسم من جهة ثانية بواسطة الاعصاب

وهذه الخلايا ذات لون سنجابي اما الاعضاء فيضاء ومادة المخ هلامية سنجابية تمر بها خيوط بيضاء وتلك المادة السنجابية تتجمع كمزجيات يظهر معها المخ

بشكل موج متجمد وهذه الاعصاب تخرج منها وتتشعب في كل جهة من اجزائها ويغطي المخ ثلاث طبقات من الانسجة الخلوية ثم طبقة عظمية تسمى الجمجمة ويكسوها الجلد فالشعر . والطبقة التي تأتي مباشرة بعد الجمجمة ببقاء مرنة كالاربطة التي تلتصق العضلات بالعظام . والنسيج الثاني يتكون من خيوط دقيقة جداً اشبه بيوت العنكبوت وتسمى الغشاء العنكبوتي . والثالث عبارة عن شبكة مكونة من اوعية شعرية واوردة وشرابين واعصاب وخيوط دقيقة وهي داخلية في المخ تحمل اليه الدم مملوء بالمواد اللازمة لادارة حركة هذه البطارية . وتتجمع الاعصاب الى رُبَطٍ تنفرع في جميع اجزاء الجسم كفروع الشجرة في تقسمها ففرع يذهب الى العين وآخر الى الأذن وآخر الى الفم . وعدد عظيم ينحدر وسط السلسلة الفقرية حيث يوجد بها اثنتان وستون فتحة لير بها واحد وثلاثون زوجاً من هذه الاعصاب فتأخذ طريقها نحو الذراعين والفخذين والمعدة والكبد والعضلات والغدد والعظام وتختاط بالاعوية الشعرية ويصغر حجمها وتصير دقيقة جداً . وكل خيط ابيض منها عبارة عن أنبوبة صغيرة مملوءة بسائل شفاف وبواسطة هذا السائل تنقل القوى العصبية . والمخ مع ما يتحد به من الاعصاب المارة في العمود الفقري وما يتفرع منه يسمى المجموع العصبي او النخية الشوكية . فخلايا المخ تولد قوة الكهرباء وتعرف بالقوى العصبية . كما ان الخلايا التي في المخ تتولد وتنمو ثم تموت مثل باقي الاعضاء . وقد قرر احد الالمانيين المولعين بالاحصائيات ان الانسان يعدم في الدقيقة ٣٠٠٠٠ خلية وفي الحال تستعاض بعدد مماثل لها وان المخ بتلك القاعدة يتجدد باكله مرة كل ستين يوماً

وظائف الاعصاب . تقوم الاعصاب بنقل القوى فتحمل من الخارج الدور والحرارة والصوت وبها ينهاء الفكر للعمل وبها يترجم عن الجوع والعطش والرغبات والآمال والمقاصد

انتقال الفكر . ان الافكار تتولد في المخ فتملاؤه وتؤثر على الخلايا فتولد

فيها سبالاً عصبياً يسرع كالبرق الى آخر العصب وينقل معه الفكرة الى الغدد او العضل او العظم كما يقتضي الحال . وهناك يصادف خلايات او غدداً او عضلات او عظاماً اخرى فيذب فيها قوة العمل وينتجرك العضو اطاعة للفكر

فاذا رأى ولد مثلاً اربناً في الحال تحرك العين في المنح هذا القول « سأمسك بهذا الارنب » فيحدث ضغط على الخلايا أشبه بضغط عدة التلغراف فتنتقل الاشارة بسرعة لا تقدّر في مجرى السلسلة الفقرية الى القدم . فتولد فيها الحركة بكيفية ليس هذا مجال ايضاحها . ومن هنا يظهر لنا ان الاعصاب نوعان احدهما ينقل الفكرة من الخارج الى الداخل والآخر ينقلها من الداخل الى الخارج . وهذان النوعان يسيران بجوار بعضهما داخل غشاء واحد

فاذا اضفنا الى ذلك ان قوة الفكر تظهر تأثيراتها على العضو الخاص بها (فالعين مثلاً تدمع عند سماع خبر يحزن) وعلمنا ان كل غدد عرضة لتأثيرات فكر مخصوص أممكتنا ان نصل الى حقيقة تقرر بلا نزاع : ان كل منح في الوجود يمكنه ان يصل الى درجة معلومة من القوة اذا توفرت لديه السبل الموصلة لذلك - اللهم الا اذا طرأت عليه عوارض خارجية . والحقيقة التي لا مرأء فيها هي ان تركيب المنح الفسيولوجي مثل اي عضو اخر ينمو بالتمرين وأن العمل يولد فيه القوة فلا معنى اذا لهذا الادعاء بأن منح المرأة اصغر من منح الرجل

التركيب الفسيولوجي : ان الاولاد - ذكوراً واناثاً - ينشأون في البيت الواحد ومن اب وام واحدین ويتناولون طعاماً واحداً ويستنشقون الهواء الواحد ومع كل ذلك نرى خلافاً واضحاً في تركيب جسمهم . وذلك لان عوامل الحياة والقوى الحيوية التي تخترق خلايات وانايب البدن تختلف الواحدة عن الاخرى

الاختلاف التركيبي : ان قامته المرأة على العموم اقصر من الرجل بجزء من اثني عشر . ووزنها يقل بمقدار جزء من ستة اجزاء . وجمجمة المرأة اصغر في الحجم وجينتها عادة اقل اتساعاً ووزنها طويلاً ولينة ورقبة كذا كنف الرجل اعرض منها .

ولكن كتفها مرسلا الى الوراء وهذا مما يجعل صدرها متسماً وترقوتها اقصر ولذلك لا تصيب تماماً عند القاء حجر الى اية مسافة وردفها اكبر وبطنها اعرض

اهم موضع للاختلافات النيسولوجية هو التجويف الحوضي العظمي فهو عند الرجل يستعين به فقط على القوة والحركة ولكن له وظيفة اخرى عند المرأة اذ هو كما سماه برداك بمعمل النسل . وهذا التعبير البين يجعل المرأة المهد الاول الذي يتربى فيه الطفل قبل ان يخرج الى عالم الوجود

خص الله المرأة بهذا التركيب حتى تقدر على حمل الطفل وحمايته من التأثيرات . وبينما المرأة قد نالت قسطها الوفير من التركيب الفسيولوجي الذي تحتاج اليه للقيام بوظيفتها قد أُعطي الرجل قوة العضل لكي يذود عنها ويحميها . فهي تحمي الطفل داخل احشائها وهو يحميها . فلماذا اذاً ايها الرجل تفاخر بقوة عضلك عليها ؟ ! طنوف جسدها^(١) لا تنهي بزوايا كالرجل ولكنها واضحة وعظامها ليست بارزة ولكن مفصصاً امتن . سعة معدتها اقل لكن حجم كبدها اكبر من الرجل . كمية ما تأكله من الطعام اقل من الرجل ولكنها تتناوله بشهية اقوى . وقد تلاحظ من احصائيات المستشفيات والملاجن والسجون ان عدد اكالات المرأة تقل عن الرجل بالخمس كما ان الشراهة خاصة بالرجل . قلب المرأة اصغر حجماً من قلب الرجل ولكن الدورة الدموية عندها اسرع ودمها كثيف . نسيجهما الخلوي اكثر غزارة وشحمها اوفر واشد نصاعة . جلدها بض واملس تقريباً ولكن حيث يوجد الشعر يكون غزيراً طويلاً ناعماً . وكثرة النوم ضرورية للمرأة لكن نومها لا يكون عميقاً عادة وانما هادئاً . صوت المرأة اضعف ولكنه ارق واشجى واشد وقعاً على الاذن . وما عندها من قوة التعبير والفصاحة تدل على ما امتازت به من الشعور السامي . فهي قوية المشاعر رقيقة الامر الذي يقوم مقام الاستنتاج عند الرجل . قوة التأثير عندها سريعة كقوة الارادة عند الرجل . درجة الحرارة عندها اقل وهذا يديهي لان الرجل يتحرك كثيراً وعمله يولد فيه تلك الحرارة

جسمها اكثر عرضة للتأثيرات الجوية كذا التأثيرات البدنية — كالنمو والضعف — تلاحظ جلياً ان سن البلوغ عند الرجل ابداً من المرأة وذلك لان تركيه القوي يستلزم غذاء اكثر من المرأة التي كثيراً ما تصل سن البلوغ قبل اوانها الاختلاف النفسي . المرأة تنكر ذاتها والرجل يغالي في حب ذاته كما انه اقل منها جلدأ وهي اقل منه عضلاً . فالمرأة تعيش لنفع نوعها البشري اقل مما تعيش لنفع ذاتها . والوظائف التي اختصت بها للنسل البشري كالحمل والولادة والرضاعة وغيرها تثبت جلياً حبها الشديد لنسلا وتفانيها في انكار ذاتها اذ تتحمل كل ألم ومشقة سعياً وراء راحة ولدها

هذه هي جميع الاختلافات البدنية عند الرجل والمرأة . فهل يمكن للذين يدعون بأفضليتهم على المرأة ان يوضحوا ذلك اللهم الا انهم يتباهون اعجاباً بقوتهم وبطشهم وينسون ان المرأة تفوقهم بصبرها وجلدها وقد قال الدكتور شبرد كما ان الرجل جندي ماهر كذلك المرأة مربية وممرضة نشطة

وبما ان قضية ادعائهم بأن عقلمهم ارقى من المرأة قد ظهر بطلانها اذ انه يكفي لمقل المرأة ان يفلح حتى يصل الى درجة الرجل واننا لنراه كذلك في الممالك التي ينشأ فيها النوعان معاً كما ان امتيازه بقوة عضله لا يكسبه اية افضلية اذا ذكرنا تركيبها المختص بالنسل بقي وجه واحد لهؤلاء القوم وهو ان يقولوا بان تفضيلهم من باب المجاز كما تقول مثلاً العسل اقل من الخلل اي ان قوة ذاك في الحلوة اكثر من هذا في الحموضة . ولكن هذا ايضاً واضح البطلان لان العمل الذي يقوم به الواحد لا يقل ولا يفوق اهمية على الآخر

الختام . بقيت كلمتي الختامية لحضرة المفضل على الجنس اللطيف — قبل ان تأخذ عنوان مقالي سلاحاً ضدي اقول اني لم اقدم الرجل على المرأة الا لسببين الاول مراعاة الترتيب الوحدوي والثاني العادة الشرقية والاجاز لنا ان نقول ايضاً — المرأة والرجل